التنمية البشرية في الخطاب الإسلامي
وأثرها على سلوك الفرد المسلم

تأليف

م. د. عبد الحسين جبار حسن

خلاصة البحث

يقيناً لا يمكن للخطاب الإسلامي أن يبتعد في جوهره ومضمونه وفحواه عن الإنسان، لأنه غايته ومقصده، فهو خليفة الله سبحانه وتعالى في الأرض الذي اوكل اليه مهمة استعمارها واصلاحها بالشكل الأمثل كما أراد الله جل جلاله.

فالإسلام في أصله ومضمونه جاء للهداية والخير والصلاح وإرساء قواعد الحق والعدل وضمان السعادتين سعادة الدنيا والآخرة، وبذلك يعتبر التربية والتعليم وتنمية الافراد وفق المنهج القرآني من ضرورات الحياة للمجتمع الإنساني، ووسيلة من وسائل بناءه واستعماره من جهة، ولمواجهة انواع الغزو الفكري الذي اعده أعداء الإسلام الذين يعملون جاهدين على تشويه صورة الإسلام، وافشال منهجه في ادارة المجتمع واعمار البلاد واسعاد العباد من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق جاء بحثنا الموسوم: (التنمية البشرية في الخطاب الإسلامي وأثرها على سلوك الفرد المسلم) لنسلط الضوء ولو بشكل يسير على منهج الإسلام في تنمية الأنسان المسلم تنمية تتلائم مع قدر المسؤولية التي انيطت به في حمل الأمانة واستخلاف الأرض، وكذلك دوره الريادي في تبني (علم التنمية البشرية)، ووضع القواعد الأصوليه له ، مبيناً أن الأنسان هو محور العملية التنموية، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى في احسن تقويم وعلمه ما لا يعلم وسخر له كل ما في الكون للنهوض بهذه المسؤولية الثقيلة.

Search summary:

Certainly, Islamic discourse cannot distance itself in its essence, content, and content from man, because that is his goal and purpose. He is the successor of God Almighty on earth, to whom He has been entrusted with the task of colonizing it and reforming it in an optimal way, as God Almighty wanted.

In its origin and content, Islam came for guidance, goodness, righteousness, establishing the foundations of truth and justice, and ensuring the happiness of this world and the hereafter. Thus, education and development of individuals according to the Qur'anic method are considered among the necessities of life for human society, and a means of building and colonizing it on the one hand, and to confront the types of intellectual invasion prepared by the enemies of Islam who They are working hard to distort the image of Islam, and to undermine its approach to managing society, rebuilding the country, and making people happy, on the other hand.

From this standpoint, our research entitled (Human development in Islamic discourse and its impact on the behavior of the Muslim individual) came to shed light, even in a small way, on the Islamic approach to developing the Muslim human being in a way that is compatible with the amount of responsibility entrusted to him in carrying the trust and taking over the land, as well as his pioneering role in adopting (The science of human development), and laid down fundamental rules for it, indicating that man is the focus of the development process. God Almighty created him in the best manner, taught him what he did not know, and subjected everything in the universe to him to fulfill this heavy responsibility.

مقدمة

على الرغم من حداثة ولادة هذا العلم (علم التنمية البشرية) الذي اخذ قالبه الاصطلاحي عام الاصطلاحي عام١٩٩٠ م حيث تبنت الامم المتحدة مفهوماً جديداً للتنمية يعطي الانسان الدور الأهم والقدرة على النهوض بالتنمية.(١)

فلم يكن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمنأى عن مفهوم هذا العلم وموضوعها، ونظرياتها وتطبيقاتها بل العكس، فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما الحجة الأولى لمنظومة الفكر الإسلامي بكل أبعادها، إلا «أن القرآن والسنة لم ينصا على نظرية أو تطبيق معين، وإنما نص القرآن والسنة على أصول ومبادئ تنموية معينة في جميع نواحي الحياة الانسانية، صالحة لكل زمان ومكان وغير قابلة للتغيير أو التبديل؛ وأنه بناءً على هذه الأصول والمبادئ الإلهية المتفق عليها، نستخلص منها على المستوى النظري أو الفكري «نظرية أو نظريات في التنمية البشرية» معينة؛ وعلى المستوى العملي أو التطبيقي «نظاماً أو نظماً تنموية» معينة؛ وهذه النظريات أو النظم ا اجتهادية، ومن ثم فهي متعددة وتختلف باختلاف الزمان والمكان، لا تعتبر اسلامية إلا بقدر تعبيرها عن الأصول والمبادئ التي وردت بنصوص القرآن والسنه ولا تتجاوزها»(٢).

أما ما ذكره القرآن الكريم لبعض المفاهيم وموضوعاتها أو بذكر مناهجها وآلياتها، أو لكشفه عن علل بعض الظواهر والحالات أو في تبيان هوية بعض العناوين والمفردات أو باستعراض أدوات وتطبيقات، من بين كل ذلك وجد علم التنمية البشرية لنفسه حيزا وسط تلك المفاهيم القرآنية، بل وجدنا له مساحة واسعة في آياته، فوجدناها قد أولت اهتماما لأسسه ولمعطياته، ورسمت بعضا من صور معالمه، وحددت بعضا آخر من عناصره ومنهجه، بينما أكدت آيات أخر على أهدافه وغاياته، وكل ذلك كان في اطار بناء الأنسان ذلك المخلوق الذي كرمه الله سبحانه وتعالى وحمله الأمانة واستخلفه في الارض لتكون بيت لعبادته وتنزيهه من الشرك والاوثان.

---

(١) ينظر: المنظور الإسلامي للتنمية البشرية ، الدكتور أسامة عبد المجيد العاني، اصدارات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ٧٠، الامارات العربية المتحدة / ٢٠٠٣م، ص ١١ .

(٢) ينظر: المذهب الاقتصادي في الإسلام ، د. محمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، القاهرة، د. ط، ٢٠١٠م)، ص ١٨.

المبحث الأول
التعريف بمفاهيم البحث

المطلب الأول: تعريف مفهوم التنمية البشرية في اللغة والاصطلاح:

أولاً التنمية لغة:

عرفها ابن منظور: «النَّماءُ: الزِّيَادَةُ. و نَمَى يَنْمِي: زَادَ وكثر، ويقال: أَنْمَيْتُ الشيءَ ونَمَّيْته: جَعَلْتُهُ نَامِيًا؛ و يُقَالُ: نَمَيْت الْحَدِيثَ أَي رَفَعْتُهُ وأَبلغته، «[1].

اما معجم اللغة العربية المعاصر فعرفها: «نمَّى ينمِّي، نَمِّ، تنميةً، والمفعول مُنمَّى، نمَّى إنتاجَه: زادَه وكثَّره، ، نمَّى النّارَ: أشبع وقودَها، نمَّى الأمرَ: طوّره؛ ، نمَّى ذاكرتَه: أنعَشها وقوّاها «التَّمارين البدنيّة تُنمِّي الجسمَ»[2] .

ويتضح من خلال ذلك أن لفظ (التنمية) معناها النماء اي الازدياد التدريجي وبذلك ينحصر بثلاث معان هي: الزيادة والكثرة والارتفاع والتطور.

ثانياً: البشرية لغة:

لفظة البشرية مأخوذة من نسبة لفظة البشر: وهو الإنسان الواحد رجلاً كان أو امرأة، هو بشر وهي بشر، وهم بشر، لا يثنى ولا يجمع .... والبشرة أعلى جلد الوجه والجسد في الإنسان وهو البشر إذا جمعته[3]، بهذا ندرك أن البشر هو الانسان سواء كان ذكراً ام انثى.

وبهذا يكون مفهوم التنمية البشرية لغة هو: تلك الزيادة المطردة للإنسان تفضيلاً له عن بقية المخلوقات على وفق الكيفية التي ارادها الله ﷻ حتى يكرمه ويستخلفه في الأرض ويأمره بعمارتها، اقرب من مفهوم التنمية البشرية في الاصطلاح.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ)، دار صادر، (بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١/ ص ٣٤١-٣٤٢ .

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ، عالم الكتب، (بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، ج ٣/ص ٢٢٨٩ .

(٣) العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٥هـ) ، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٥٦ م ، ج ٨ ، ص٤٨٣.

ثالثا: تعريف مفهوم التنمية البشرية في الاصطلاح.

إن مصطلح التنمية البشرية من المصطلحات الحديثة التي تزامنت مع العصر الحديث، ولاسيما في العقد الأخير من القرن العشرين، (ويتطلب البحث في تطور هذا المفهوم الرجوع الى أصل استخداماته ، إذ لم يكن هذا المصطلح شائعا كما هو موجود حالياً بل شاع حينها هو مفهوم تنمية الموارد البشرية الذي ورد في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر عام ١٩٦٢م حول دور الامم المتحدة في تدريب الكوادر الوطنية لتسريع التصنيع في الدول النامية، وتوسع هذا المفهوم خلال الثمانينيات عندما وضع الجزء ضمن الكل وهو «التنمية البشرية» ، وحصلت قفزة نوعية مع صدور تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠م في تطور هذا المفهوم الذي ركز على الاستفادة من القدرات البشرية بحيث اصبح الانسان هو صانع التنمية وهدفها في الوقت ذاته) [١].

ومن المعلوم للجميع إن علم التنمية البشرية حاله حال العلوم الاجتماعية الأخرى التي تتباين تعريفاتها، إلا أن من أهم التعريفات التي اشتهرت بين المهتمين بالتنمية البشرية هو تعريف (عالم الاقتصاد الباكستاني محبوب الحق) الذي يعد الرائد الأول في بيان معالم التنمية البشرية، الذي اعد التقرير الإنمائي الأول للأمم المتحدة، .وبحسب منظور(محبوب الحق) فالتنمية هي (عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الناس) [٢] . اي ان التنمية البشرية من وجهة نظره تهدف الى توسيع خيارات الأفراد وزيادة قدراتهم الذاتية ، وهذا المعيار أعطى للإنسان مساحة اوسع ومرونة في الحركة، لاختيار ما يلبي رغباته ويسد احتياجاته المادية والمعنوية.

المطلب الثاني: تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً.

اولاً : الخطاب لغةً : مشتق من الفعل الثلاثي (خَطَبَ) الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِك ، وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ ; وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ [٣] .

وورد كذلك الخطب بمعنى السبب والأمر «الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الأَمْر. يُقَالُ: مَا خَطْبُك؟ أَي مَا أَمرُكَ؟ وَتَقُولُ: هَذَا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير،

(١) ينظر: المنظور الإسلامي للتنمية البشرية ، اسامة عبد المجيد العاني ،ص ١٢- ١٣.

(٢) المنظور الإسلامي للتنمية البشرية ، اسامة عبد المجيد العاني ، ص ١٣.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،٢/ ١٩٨ .

والخَطْبُ: الأَمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن»[١].

ثانياً: االخطاب اصطلاحاً: «هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئا»[٢] ، والمراد في بحثنا هذا هو الخطاب الإسلامي الموجه الى الإنسان في القرآن الكريم، فالإسلام ديناً ومنهج حياة، ونظاماً متكاملاً للفرد والمجتمع والعقل والقلب [٣].

(١) لسان العرب ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ،١/ ٣٦٠ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب –القاهرة ،ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ١٥٦ .

(٣) ينظر: الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، د. أنور الجندي ، الشركة العالمية للكتاب (دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب العالمي) ، بيروت – لبنان ، (د .ط) ، ١٩٨٧ م ، ١٠ .

المبحث الثاني
الخطاب التنموي في القرآن الكريم

المطلب الأول: رؤية القرآن الكريم لحقيقة الأنسان

يمكن معرفة طبيعة الإنسان ومكانته من خلال الطريقة التي خُلق بها، وكما وصفها القرآن الكريم، «فالقرآن كله إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان»(١). فالتفحّص الدقيق لقصة آدم عليه السلام الذي هو رمز الجنس البشري في القرآن الكريم، يوضح لنا تعريف الله تعالى – خالق الجنس البشري والعالِم بتكوين الإنسان المادي والروحي والفكري – لنوعية الإنسان المخلوق، يمثل وجهة نظر العقيدة الإسلامية للإنسان وتعريفها له مستند إلى تعريفُ الله تعالى له، إذ يعد أفضل تعبير وأدقه وأشمله عن طبيعة الإنسان في هذه القصة(٢).

فالإنسان في المنظار القرآني: (خُلق على كمال في نفسه واعتدال في جوارحه)(٣) لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٤)، كما منح أعلى المراتب بتكريم الله سبحانه وتعالى اليه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٥) واستأمنه على الولاية الإلهية واستخلفه في الأرض لقوله سبحانه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٦).

إن البحث الجاد في طبيعة التنمية البشرية يقود الباحث حتمًا إلى اجتياز خطوة على قدر كبير من الأهمية، هي الوقوف على طبيعة الإنسان وتكوينه الذاتي، ذلك أن أية فلسفة تنموية بل لعل أية فكرة تربوية لم توضع إلا للإنسان، ولم يقف من هذه الفلسفة أو تلك الأفكار موقف السلب

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار المعرفة، الدار البيضاء، ١٣٩٧هـ. ص ٦٦.

(٢) ينظر: المنظور الإسلامي للحافزية ومعوقه من النظريات المعاصرة، نعيم نصير، (بحث في مجلة جامعة الملك سعود، م١، العلوم الإدارية (١،٢)، ١٩٨٩م). ص ٦٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان. مج ٦، ٣٠ ، ص ١٧٩ .

(٤) سورة التين، الآية ٤

(٥) سورة الاسراء، الاية ٧٠

(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٠

أو الإيجاب إلا الإنسان وحده[١].

(لذلك فالتخطيط التربوي الإسلامي يبدأ من تحديد صورة الإنسان كما يريدها القرآن الكريم أساسًا؛ لأنه يتوقف على تحديدها بدقة تحديد النمط التربوي الذي يتم في ضوئه تربية هذا الإنسان وتحقيق النوعية التربوية التي تحقق مستوى الإنسان في القرآن والسنّة)[٢]، وهذه المعرفة التامة بطبيعة الأنسان ومعرفة الكيفية التي تهذبه وتمكنه من الوصول الى أهدافه تعد من اساسيات علم التنمية البشرية.

وقد تحدث القرآن عن الإنسان بوجه عام «فأبان أصل نشأته ووجوده، والغرض من خلقه مزودًا بما خُلق فيه من صفات وخصائص، وذكر جملة من صفاته وخصائصه التكوينية التي فطره الله عليها، وجملة من الصفات الكلية العامة التي تنتج عن سلوكه الإداري، وما يختار لنفسه في الحياة، وأعطى أمثلة وقواعد هي بمثابة ظواهر اجتماعية تشتمل على أحكام عامة أغلبية، ليس فيها تعيين، وليس فيها تحديد، كشأن الأحكام النسبية التي تقدمها بعض الإحصاءات العلمية للمجموعات البشرية»[٣].

ومن هنا نجد إن مفهوم التنمية البشرية قد ورد ضمنياً في النصوص القرآنية عند معالجة الإسلام لقضايا الإنسان حيث «يهتم الإسلام اهتماماً عميقاً لمشكلة التنمية البشرية غير انه يعالجها على أنها جزء من مشكلة أكبر هي مشكلة التنمية الإنسانية، فإن أول وظيفة من وضائف الإسلام توجيه التنمية الإنسانية في الاتجاه الصحيح ، فهو يهتم بكل مظاهر التنمية من جميع جوانبها ولكن دائماً في إطار التنمية الانسانية الشاملة، لا في شكل بعيد عن هذا الأفق، «[٤] .

وسنتحدث عن مفهوم التنمية البشرية في القرآن الكريم وفق ثلاث مبادئ تنموية رئيسية تناولت هذا المفهوم وذلك من خلال تسليط الضوء عليه كمثال ليس إلا.

---

(١) ينظر: مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، د. حسن إبراهيم عبد العال، دار الكتب، الرياض، ١٩٨٥م. ص ٣٠.

(٢) نقد المعرفة التربوية المعاصرة: الأهداف والأطر، علي خليل أبو العينين، (بحث في مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان، ٢٤ -٢٧ تموز، ١٩٩٠م) جامعتا اليرموك ومؤتة بالأردن والمعهد العالمي للفكر الإسلامي. (٤٦/١).

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط/١، ١٩٧٩م. (٣٣٣/١).

(٤) التنمية الاقتصادية في اطار إسلامي، خورشيد أحمد، ترجمة رفيق المصري، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز،(جدة، العدد٢، المجلد ٢، ١٩٨٥م)، ص٦٥ .

المطلب الثاني: مبدأ الاستخلاف:

الإنسان يحضى بعناية خاصة من الخالق سبحانه وتعالى تجعله في موقع متمّيز على سائر المخلوقات، وهذه العناية تبدأ من أصل تكوينه واستمرت معه إلى حين اختاره خليفة الله على هذه الأرض [١]، **فاعتبار الإنسان غاية القرآن الكريم والتنمية البشرية مبنيٌّ على ضوء اعتباره خليفَة اللهِ في الأرض على وفق الجعل الإلهي** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٢] **؛ ولذا، فإن العلاقة بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان والإله ليست علاقة وحدة وإنما علاقة تكامل.**

ولو تمعنا النظر في الآية المباركة نستطيع أن نستشف منها، أن الله تعالى ينبئ الملائكة بإنشاء مجتمع على الأرض، «والعلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالأرض وتربط من ناحية اخرى الانسان بأخيه الإنسان، هي التي سمّاها القرآن الكريم بالإستخلاف ، والعلاقة المعنوية تربط الإنسان بالطبيعة من ناحية، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان من ناحية أخرى «[٣].

وكذا حين أستمكنه في إدراك الحقائق والمعارف ليكون مؤهَلا وأنموذجاً حقيقياً للاستخلاف حين شاء الله بأمره ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [٤] **فتعليم الله تعالى لآدم بعلم مباشر، يعني انه تعالى ميزه عن سائر خلقه بهذا المقام الخطير بان علمه ما لم يعلم»**[٥] .

وعلى ضوء ذلك يكون التصور الاسلامي للتنمية البشرية يقوم على اساس ان الله ﷻ عندما خلق الكون وخلق الأنسان واستخلفه في الأرض، لم يتركه هملا، وإنما أمره بعمارتها، وفق منهج الله وشريعته، التي نص عليها القرآن الكريم وفصلتها السنة النبوية المطهرة، وقد خلق الله ﷻ الانسان وفضله على سائر المخلوقات، وميزه بالعقل ليكون قادراً على أداء هذه المهمة على أكمل وجه، وهيئ له بفضله وكرمه من مستلزمات عمارة الأرض وتنميتها، كل ما يمكنه من ذلك، فيحقق الرفاهية لنفسه وللآخرين وبذلك يقرر مصيره ويحدد مستقبله

---

(١) ينظر: الأسس الفلسفية للحداثة ، صدر الدين القبانجي، أعداد: عادل الفتلاوي ، نشر مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، (بيروت، لبنان ،ط ١ ،٢٠١١م)، ص ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية (٣٠) .

(٣) المدرسة القرآنية ، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، (ط ٢- ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م)، ص ٩٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية (٣١) .

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، د. ط ، ١٤١٤ هـ-١٩٨٦ م)، ج ١ / ص ١٨٠ .

في الدنيا والآخرة [١] .

المطلب الثالث: مبدأ التسخير والتمكين .

مبدأ التسخير والتمكين هو الحلقة الثانية في سلسلة الخلافة التي تكرم الله تعالى بها على بني آدم، قال تعالى في سورة الجاثية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، ونلاحظ أن هذه الآيات تتضمن صورة **كاملة واضحة وجلية عن مبدأ التسخير، وهذا ما بينه الفخر الرازي في تفسيره ، حيث يقول:» اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل إلا بسبب تسخير ثلاثة أشياء أحدها: الرياح التي تجري على وفق المراد، ثانيها: خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك، ثالثها: خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه، وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر، فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله ﷻ وقوله تعالى: وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ : معناه إما بسبب التجارة، أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان، أو لأجل استخراج اللحم الطري»**[٣] .

والتسخير، لا يمكن ان يعطي ثماره تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف الإلهي ما لم يمكن ويطبق على أرض الواقع، لأن مفهوم التمكين يعني أن يشرع الإنسان عمليا بتكاليف الاستخلاف من خلال بسط اليد على ما مكّنه الله تعالى من تسخير ما في الكون، حيث أن المكان عند أهل اللغة «الموضع الحاوي للشيء» [٤].

وقد ورد لفظ (التمكين) في القرآن الكريم حين نسب فعل التمكين من الله ﷻ إلى الإنسان، في كثير من الآيات، والتي تعطي الانسان القدرة على التحكم بالطبيعة وتسخيرها لما يخدم المجتمع بما منحه الله تعالى من العلم والقوة والقدرة على تطويعها لصالحه؛ قال

---

(١) ينظر: التنمية في الإسلام: مفاهيم، مناهج وتطبيقات ، د. ابراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت، ط ١، ١٩٩٦م)، ص ٦٣.

(٢) سورة الجاثية : الآية (١٢-١٣) .

(٣) تفسير الرازي، للرازي ،ج٢٧/ ص٦٧٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، (دمشق بيروت ط١، ١٤١٢هـ) ، ص ٧٧٢.

ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ (١)، **والتمكين لغة هو: «مكنته من الشيء جعلت له عليه سلطاناً وقدرة، متمكن منه واستمكن: قدر عليه، وله مَكِنة اي قوة وشدة**(٢).

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ (٣)، **يمثل الجانب المعنوي للتمكين وهو تمكين الإنسان المسلم من دينه، واستبدال خوفهم أمنا.**

ويقول العلامة السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة: «وعد الله تعالى من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها..، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل»(٤).

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ (التمكين) كانت تفيد مركزية اتخاذ القرار وحرية التصرف وليونة الحركة بامتلاك زمام الأمور والقدرة على التصرف بها، وهذا هو أهم محور من محاور التنمية البشرية ، لأن فلسفة التمكين تعني توسيع قدرات الإنسان لتوسيع خياراتهم.

المطلب الرابع: مبدأ عمارة الأرض واصلاحها.

ونتيجة أحساس هذا الإنسان بالمسؤولية الملقاة على عاتقه من قبل الله ﷻ سعى الإنسان لتطويع الكون والتمكين منه، واعمار الأرض وتنميتها، لأداء تلك الامانة بجميع معانيها؛

---

(١) سورة الاعراف : الآية (١٠) .

(٢) المصباح المنير، أحمد المقرئ، دار الحديث،(لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م)، ص ٣٤٣.

(٣) سورة النور : الآية (٥٥) .

(٤) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للنشر، (بيروت ،ط ١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م)، ص ٥٧٣.

جاء المعجم الوسيط: معنى العِمَارة: نقيض الخراب، والعمارة البنيان، وما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثر الأهالي، ونجح الأعمال والتمدن، يقال: استبحر العمران، والعدل اساس العمران [١].

أما في الاصطلاح «فيعتبر مصطلح العمارة والتعمير من أصدق المصطلحات تعبيراً عن التنمية إذ يحمل مضمون التنمية الاقتصادية، وقد يزيد عنه، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وإن تناول- بصفة أولية- جوانب التنمية الاقتصادية بمعناها المتعارف عليه والذي لا يخرج عن تعظيم عمليات الانتاج «[٢].

«وقد عرفت التنمية في الإسلام بأنها العمارة وهذا اللفظ أوسع من مفهوم التنمية في الاقتصاد الوضعي انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿هُوَ وَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٣] ويقول القرطبي: أي امركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وغرس أشجار، وقيل المعنى: ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس، وحفر الأنهار وغيرها»[٤].

وهذا ما ذهب إليه الرازي أيضاً حين أشار إلى أن المراد هو جعلكم عمارها كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وأن الإنسان قادر على ذلك، لقدرته على التصرفات، وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح موافقة للمنافع[٥].

ومما لا شك فيه أن الإنسان بحكم ما تميز به من خصائص وبحكم مرتبة الاستخلاف يستطيع أن يقوم بما كلف به من وظائف لبناء هيكل صرح الحضارة السماوية في الأرض ، فهو «يستطيع أن يقوم بهذا العمل الحضاري على الأرض، لأنه من اختصاص عقله وطاقته التي زود بها، ولكن في ضوء الوحي الإلهي الذي وضع الحقائق الكلية عن الوجود أمامه» [٦]؛ وعلى ضوء ما تقدم نستنتج إن عمارة الأرض أو استعمارها ، تعني طلب تعمير الأرض وإحيائها،

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، باب العين، ج ٢/ ص ٦٢٧..

(٢) الإسلام والتنمية الاقتصادية، شوقي أحمد دنيا، دار الفكر العربي، (القاهرة، ط١، ١٩٧٩م) ، ص ٨٥ .

(٣) سورة هود : الآية (٦١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ)، المحقق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض ، د. ط، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م) ، ج ٩/ ص ٥٦.

(٥) فسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ)، مجلد ٩ /ج ١٨ / ص ١٤.

(٦) تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (ط١ ،١٩٩٦م) ، ص ١١٦.

وهذا المعنى يتضمن:

أولاً: أن لا تفسد الصالح، وهو الامتناع من الشر.

ثانياً: أن ترتقي بالصالح، وهو الإقبال على الخير.

ثالثاً: أن نبتدع سبلاً جديدةً للصلاح(١).

ومن هنا يمكن تحديد نظرة الإسلام عموماً والقرآن الكريم خصوصاً لخلافة الإنسان في الأرض، وعلاقتها بالتنمية البشرية، والتي تتجسد من خلال السماح للإنسان باستغلال الموارد المسخرة له كافة، من أجل عمارة الأرض، للقيام بواجب الخلافة التي تتضمن جميع الأحكام الشرعية وضوابطها.

(١) قضايا معاصرة ، محمد متولي الشعراوي، إعداد : عماد عبد الطيف ، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، (مصر – القاهرة، ط١، ١٩٨١م)، ص ٢٣ .

المبحث الثالث
التنمية البشرية الاسلامية ودورها في تهذيب سلوك الفرد المسلم

المطلب الأول: التنمية البشرية على ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية:

التنمية البشرية لها موقع ريادي في عموم الشريعة المقدسة وكذا القرآن الكريم الذي يعد اصل منابعها الأساس،وذلك لما لها من اثر فعال في تهذيب سلوك الأنسان وتوجيهه نحو جادة الحق والصواب، حيث نلمس ذلك واضحاً حين نبحث في مقاصدها بين آية أو رواية أو حكم فقهي، فنلمس تأصيل ذات هدف الرؤية الإسلامية في تحقيق سعادة وطموحات الإنسان، وان المتتبع للمصالح التي قصد الفقه تحقيقها يجد ثلاثة مقاصد تستقيم الحياة الاجتماعية بها وتهنأ.

ولقد اشارة الشاطبي الى هذه المقاصد وبين انها لا تعدو ثلاث اقسام: الضروريات: فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا افتقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، والضروريات خمسة: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد قَالوا إنَّها مراعاة في كلّ ملّة؛ وأما الحاجيات: فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ؛ وأما التحسينات: فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق[1].

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن منهج الاسلام في تحقيق مقاصد الشريعة التي نادت بها، هي بعينها غاية التنمية البشرية ومرادها.

المطلب الثاني: دور التنمية العقائدية والروحية في تهذيب السلوك:

أولاً: التنمية العقائدية: المنهج الإسلامي في التنمية لا يمكن ان يطبق الا في مجتمع يعلن الولاء لله تعالى ورسوله ﷺ ، وأول خطوة في هذا المنهج، تتمثل في إيجاد هذا المجتمع المسلم، أذ ان «الإسلام ليس شعاراً يرفع، او مادة تزين بها دساتير الحكومات الإسلامية، وإنما هو

(١) ينظر: الموافقات في أصول الشَّرِيعَة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر، (السعودية، ط ١ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م)، ج ٢/ ص١٧-٢٢.

الولاء لله تعالى في كل شيء، والصدور عن شريعته في كل أمر، كمقدمة ضرورية لإيجاد التربة الصالحة للتقدم والنمو، ذلك أنه لن يتقدم مجتمع ما دون أن يجتمع على أسلوب للحياة ينبعث من عقيدة، أو مذهب اجتماعي، ولم يحدث ان تبنى مجتمع مذهب ما، ثم سمح للمذاهب المناوئة له بأن تجعل من أرضه وشعبه مسرحاً لنشاطها، إن ذلك لم يشاهد قط في مجتمع بدأ عملية تنمية ونجح فيها»[١]؛ أي لا سبيل امامنا كمسلمين، لتحقيق التنمية البشرية المستدامة إلا من خلال تطبيق الدستور الإسلامي، فهو القادر على أن يجعل الأمة تعطي كل جهودها، وتوظف كل طاقاتها من أجل البناء والتقدم.

وتمثل العقيدة المرتكز الأساسي للتربية الإسلامية إذ أن الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره, هو الموجه الحقيقي لسلوك الإنسان والدافع له إلى عمل الخير، وهو الذي يصرف عنه طريق الشر ويجعله مُتحلياً بالفضائل وحسن الخلق[٢].

لذلك أهتم المنهج القرآني اهتماماً بالغاً بإصلاح العقيدة، وترسيخ جذورها، لأن معاملات المكلف وعباداته تتوقف عليها, من حيث القبول والرد «وإن أبرز ما يؤكد أهمية العقيدة هو إن كل جهد وعمل لا يقبل من الإنسان ما لم يكن قائماً على الإيمان الصحيح, قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٣].

وأما فيما يخص الثبات الخُلُقي فإن ثبوت المبادئ والأخلاق وعموم تصرفات الناس تتفاوت بينهم بحسب قوة الإيمان الذي لديهم فالبعض يظهر عليه التحلي بالأخلاق الإسلامية , لكنها سرعان ما تتوارى في المواقف التي تطغى شهواته عليه وصنف من الناس يتحلى ببعض الفضائل الخلقية إذا أحس أنها تحقق له مطالب ومنافع دنيوية عاجلة, وصنف آخر من الناس يتمسك بكل ما يستطيع من الأخلاق الإسلامية في جميع الاحوال والظروف [٤].

لأن «العقيدة: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف عليها مدى انضباط النفس وما يصدر منها من أفعال, والمشاعر والهواجس التي تمر في الخيال، هذه

---

(١) ابحاث ندوة (اسهامات الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر)، بحث (المنهج الاسلامي في التنمية) د. يوسف ابراهيم يوسف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١ – ١٩٩٢م، ص ٤٠٢.

(٢) ينظر: أصول الفكر التربوي الإسلامي، عباس محجوب، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٧م ، ٨٦.

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٥) .

(٤) ينظر :اصول التربية الإسلامية , د. خالد بن حامد الحازمي, دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , المدينة المنورة – السعودية, ط١, ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ١٠٢-١٠٤ .

كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس، وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط» (١).

وبذلك يكون للعقيدة اثر كبير على سلوك الفرد وسلامة تربيته ورقيه، لأن «الإنسان في غياب العقيدة تضطرب أمور حياته، وتتفاوت فيها الموازين والمقاييس إلى حد قد يصل إلى التناقض، كما أنه تختلف نظرته إلى الأشياء وحكمه عليها ، حتى يصل إلى حد يقاتل فيه من يخالفه ويخرج على مألوفه ؟ ولو كان هذا المألوف هو أفحش الخطأ وأعظمه!»(٢).

ثانيا: التنمية الروحية:

بعد المقوم العقائدي يأتي دور المقوم الروحي، أذ يعتبر أحد المقومات المكملة في بناء شخصية الإنسان المسلم، بعد المقوم العقائدي , حيث توضع أركانه كلها موضع التطبيق العملي ,وعليه يعتمد كمال شخصيته, وعلى أساسه تحدد هوية الفرد المؤمن وهل هو صاحب عقيدة أم لا؟ أي «إن القوة الروحية هي التي ترفع من معنوياته وتتحكم بمشاعره الذاتية, من الخوف والحزن والقلق والضياع والاهتزاز وعدم الثقة بالنفس, وتبدلها لتجعله يعيش مشاعر السرور والثبات على العقيدة»(٣) .

وروح الإنسان كبدنه بحاجة إلى التغذية والنمو من أجل استمرار مسيرتها التكاملية، والوصول إلى درجات سامية من العلو والكمال من خلال الاستعانة بالتعاليم الإسلامية والبرامج والوصايا الدينية التي تساعد على بناء روح الإنسان ورفع احتياجاته والوصول به إلى مراحل النزاهة والتزكية(٤) .

ويتبين من ذلك إن في اختلاف أنواع العبادات التي فرضها الله تعالى علينا ومقاديرها وأوقاتها وكيفيتها, لحكمة عظيمة لا يعلم سرها إلا الله سبحانه تعالى ورسوله الكريم o والراسخين في العلم من عباده الذين اصطفى «وكما أن الأدوية تركب من اخلاط مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص، فكذلك العبادات التي هي:

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله عزام، مركز شهيد عزام الإعلامي، (باكستان- بيشاور)، ط١، (د. ت)، ١٠.

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام، الشيخ حسن أيوب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٢٢م، ٢٧.

(٣) الاسلام ومنطق القوة, المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله ,مركز الامام الصادق A , (د. ط), (د .ت), ٧٩ .

(٤) ينظر: تربية الفتاة في الإسلام، علي القائمي، دار الصفوة، (بيروت- لبنان)، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٢٧٩.

أدوية داء القلوب، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار» [١].

وكذلك إن الخوف من المجهول هو من أخطر الأمراض النفسية التي تحبط عزيمة الإنسان , وتضعف قواه «وقد ركز القرآن الكريم على عنصر التوكل على الله ﷻ كأحد العناصر الروحية النفسية التي توحي للإنسان بالثقة والطمأنينة, وتبعده عن الشعور بالخوف, كسبيل من الإيحاء بالقوة الروحية, لأنها تحميه من القلق النفسي المدمرّ, فكان التوكل على الله عنصر الامان ضد المجهول, او غير المنظور «[٢].

فجاءت دعوى التوكل على لسان الرسل عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ ﴿١٢﴾ [٣] «وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال : {ليس شيء إلا وله حد، قلت: جعلت فداك فما حد التوكل ؟ قال : اليقين، قلت: فما حد اليقين ؟ قال: أن لا تخاف مع الله شيئا »[٤] ؛ ومن هنا يستلهم الإنسان المسلم قوته الروحية واطمئنانه النفسي لأنه يثق بربه سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ , فمن كان الله ورسوله سنده ورجائه فهل يخاف من احد غيره, فيترك الخوف من المجهول والقلق النفسي من مقدرات الحياة لثقته بأن كل ما يدور بالكون هو في علم الله وحكمته وتحت سيطرته, فيقبل على الله تعالى بالعبادة والرياضات الروحية فيصلب عوده وتنمو شخصيته .

المطلب الثالث: دور التنمية الاخلاقية والفكرية في تهذيب السلوك.

أولا- التنمية الاخلاقية:

وتشكل الأخلاق الركن الأساس في بناء الشخصية الإسلامية وهي مصدر سعادة الإنسان واستقامة شخصيته، وبناء الإنسان السوي في السلوك والنزعة، لذا كانت التربية الأخلاقية من أهم

---

(١) المنقذ في الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥ ه)،بقلم د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة- مصر، (د. ط)، (د. ت) ،ص ١٨٩ .

(٢) الاسلام ومنطق القوة, المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله ,٩٤ .

(٣) سورة ابراهيم: الآية (١١-١٢) .

(٤) وسائل الشيعة , المحقق العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت: ١١٠٤ هـ), دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان, د. ت, ١١/ ١٥٨ .

عناصر التربية الإنسانية التي اعتنى بها الإسلام، وأكد الاهتمام بها[١].

«وحين تركز التربية الاسلامية على بناء الاخلاق بعد بناء عقيدة التوحيد إنما تعمل على تمكين الفرد المسلم من مقاومة المغريات فلا يضحي بدينه أو بشرفه أو عرضه في سبيل أي مطمع، ذلك أن محك تربية الأخلاق هي الارتفاع بالنفس عن المطمع والهوى، ولا ريب أن لتربية العقيدة وتنمية الأخلاق أثرها العميق في تكوين شخصية الفرد المسلم وتهذيب سلوكه، فالغرائز قائمة في النفس تعدل نفسها وتضبط اتجاهاتها وفق ما تدعوها اليه العقيدة وحسب ما توجهها اليه من سمو وكمال، والخطر هو في تركها دون توجيه وضبط، والخوف الاكبر هو في إطلاقها على النحو الذي تدعو اليه التربية الحديثة في مفاهيم ديوي وفريد»[٢].

ولذلك يعتقد المفكرين المسلمين أن «من أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الأخلاق؛ بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الأمة وبها أدركوا ما أدركوه من الفلاح، والأخلاق في تكوين الأمم فوق المعارف، ولله در شوقي إذ قال: وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت... فأن هم أخلاقهم ذهبت ذهبوا؛ وأن من أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص، وظن هؤلاء - إلا من رحم ربك - أن الأمة خلقت لهم أن يفعلوا بها ما يشاءون، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادَّة بطشوا به؛ عبرة لغيره»[٣].

ومن اهم الضوابط الجامعة التي تهذب اخلاق المسلم وتنميها هي حث الشريعة المقدسة الفرد المسلم بالتحري عن الحلال والحرام من الاعمال، وأخذ ما ثبتت حليته بالشريعة ونبذ ما خبث وثبت تحريمه منها، ذلك لأنه من القيم السامية وأحد الركائز المهمة التي ترتكز عليها التنمية البشرية في القرآن الكريم.

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي

(١) ينظر: الأمن التربوي للطفل في الإسلام ، د. فاطمة محمد محمد طاهر الخاقاني ، دار المحجة البيضاء ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م ،ص ٣٨.

(٢) التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، الدكتور انور الجندي، دار الكتاب اللبناني – بيروت لبنان، ط١ ، ١٩٧٥م، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟، الأمير شكيب أرسلان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، د، ط، ٢٠١٢م)، ص ٣٧.

الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ»(١)؛ والأصل في النشاط الاقتصادي أنه حلال فلا حرام إلا ما جاء الدليل بتحريمه (٢).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(٣) ولهذا عدت العدالة بجميع صورها ، ضرورة من ضروريات الدين وضابطة شرعية مهمة تقود إلى انتظام العلاقات الانسانية والروابط المجتمعية بكافة ابعادها الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية، وهي قوام أمر المجتمع ومنطلق نهضته وتقدمه وتكامله باتجاه الخلافة الالهية على الأرض (٤) .

ومن هنا يعد المقوم الأخلاقي الهدف الأسمى، الذي يرمى إليه في بناء شخصية الأنسان المسلم، وهو عبارة عن افرازات وانعكاسات وثمرات التربية العقائدية والروحية , التي تتحول الى سمات أخلاقية تزين الإنسان المسلم وتبرز شخصيته.

ثانياً- التنمية الفكرية:

فالأصل في تربية الفكر هو التوقف عن الإيمان بالأوهام والخرافات, كونها تشكل ظاهرة خطيرة على الإنسان المسلم تبعده عن أصول وأحكام الدين وتجره الى ممارسة طقوس دينية لا علاقة لها بالإسلام(٥), حيث يقرر العلم الحديث الذي جاء موافقاً للنصوص الدينية بضرورة تحرير العقل وتهيئته لاستقبال العلوم الفكرية, حيث دعا الإسلام في مجال التربية العقلية إلى تحرير العقل من رواسب الماضي وعدم تعطيله بالتسليم بالمقلدات الموروثة حديثة كانت أم قديمة(٦)، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،(بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ) ، ج ١ ، باب فضل من استبرأ لدينه، ص ٢٠، الحديث ٥٢.

(٢) ينظر: التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، د. عبد الرحمن يسري احمد، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الاسكندرية، د. ط، د. ت)، ٣٥.

(٣) سورة النحل الاية ٩٠

(٤) ينظر: إبراهيم العسل، التنمية في الفكر الإسلامي، ص ٩١ - ٩٢

(٥) ينظر: المرأة في الفكر الاجتماعي للإسلام, محمد الشقير, دار الهادي, ط١, ٢٠٠٤م, ص٣١.

(٦) ينظر: أصول الفكر التربوي الإسلامي .د. عباس محجوب , ٢٠١.

شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾[1].

وعليه لغرض تربية الفرد المسلم وتقويمه فكرياً يجب عليه أولاً أن يحرر عقله من جميع الاوهام والمعتقدات الزائفة, وخصوصاً تلك الخرافات والأساطير والخزعبلات التي تعشعش عادة في أذهان الأميين والجهلة من الناس, وأن الإنسان الواعي ذهناً وفكراً ليعتقد إن الركون الى أهل البد ع والخرافات والأساطير والكهانة والسحر من الكبائر التي تحبط عمل المؤمن, وتهدد آخرته, فقد ورد عن رسول الله ﷺ : {مَنْ أتى كاهِناً فَصَدَّقَهُ بما يَقُولُ, فقد برِئ مِمَّا أنْزَلَ اللهُ على مُحَمّدٍ ﷺ} [2].

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) سنن ابي داود, أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ), تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية، صيدا – بيروت, د. ط , د. ت .., كتاب الطب, باب في الكاهن, ١٥/٤ , رقم الحديث ٣٩٠٤ .

الخاتمة وأهم النتائج

وخلاصة ما تقدم يتضح أن نهوض العالم الإسلامي وعودته الى أوج عظمته متوقف على بناء الإنسان وتنميته تنمية بشرية متكاملة ، لأنه أهم من بناء الجدران، فالشعوب العاجزة الكسولة، تحط من مكانة الأديان التي تعتنقها، وتهبط بمستوى العقائد التي تنتمي إليها ؛ بل أن الأتباع الحمقى، كثير ما يفرضون سفههم على أسمى الحقائق، فبدلاً من أن يرتفعوا معها الى القمة، يهبطون بها الى السفوح؛ وعليه فأن شعوب الشرق الإسلامي تحتاج – قبل أن تفهم الإسلام، وقبل أن ينتظر منها إعزاز الإسلام – الى جهود جبارة لرفع مستواها المادي والأدبي؛ أي الى تصحيح إنسانيتها أولاً؛ حتى إذا كونا الإنسان الذي يعقل ما يخاطب به، ويعرف واجبه نحوه، قلنا له: انصر ربك ونفسك، إذا شئت الحياة الكريمة في يومك وغدك؛ أما جهود المصلحين- قبل اتخاذ هذه الخطوة – فهي امواج من الماء، تتدفق على صحراء من الرمال، هيهات أن يكون لها ثمر [١].

(١) ينظر: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، محمد الغزالي، ص ١٣٣.

مصادر ومراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- ابحاث ندوة (اسهامات الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر)، بحث (المنهج الاسلامي في التنمية) د. يوسف ابراهيم يوسف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (ط١ – ١٩٩٢م).

٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط/١.

٤- الأسس الفلسفية للحداثة – دراسة مقارنة بين الحداثة والإسلام ، صدر الدين القبانجي، أعداد: عادل الفتلاوي ، نشر مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي(بيروت، لبنان، ط ١ ،٢٠١١م).

٥- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، د. أنور الجندي ، الشركة العالمية للكتاب (دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب العالمي) ، بيروت – لبنان ، (د .ط) ، ١٩٨٧ م .

٦- الإسلام والتنمية الاقتصادية، شوقي أحمد دنيا، دار الفكر العربي، (القاهرة، ط ١، ١٩٧٩م).

٧- الاسلام ومنطق القوة, المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله ,مركز الامام الصادق A , (د. ط), (د .ت).

٨- اصول التربية الإسلامية , د. خالد بن حامد الحازمي, دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع , المدينة المنورة – السعودية, ط١, ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٩- أصول الفكر التربوي الإسلامي، عباس محجوب، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٧م .

١٠- الأمن التربوي للطفل في الإسلام ، د. فاطمة محمد محمد طاهر الخاقاني ، دار المحجة البيضاء ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م .

١١- تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (ط ١ ،١٩٩٦م).

١٢- تربية الفتاة في الإسلام، علي القائمي، دار الصفوة، (بيروت- لبنان)، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٣- التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، الدكتور انور الجندي، دار الكتاب اللبناني – بيروت لبنان، ط١ ، ١٩٧٥م.

١٤- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ).

١٥- تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للنشر، (بيروت لبنان ،ط ١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م).

١٦- التنمية الاقتصادية في اطار إسلامي، خورشيد أحمد، ترجمة رفيق المصري، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز،(جدة، العدد٢، المجلد ٢، ١٩٨٥م).

١٧- التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، د. عبد الرحمن يسري احمد، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الاسكندرية، د. ط، د. ت).

١٨- التنمية في الإسلام: مفاهيم، مناهج وتطبيقات ، د. ابراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت، ط ١، ١٩٩٦م).

١٩- التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب – القاهرة ،ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٢٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١ هـ)، المحقق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض ، د. ط، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م).

٢١- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار المعرفة، الدار البيضاء، ١٣٩٧هـ.

٢٢- السلوك الاجتماعي في الإسلام، الشيخ حسن أيوب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٢٢م.

٢٣- سنن ابي داود, أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ), تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية، صيدا – بيروت, د. ط , د. ت .

٢٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،(بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ).

٢٥- العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله عزام، مركز شهيد عزام الإعلامي، (باكستان-بيشاور)، ط١، (د. ت).

٢٦- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٥هـ) ، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٥٦م.

٢٧- قضايا معاصرة ، محمد متولي الشعراوي، إعداد : عماد عبد الطيف ، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، (مصر – القاهرة، ط١، ١٩٨١م).

٢٨- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ)، دار صادر، (بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ).

٢٩- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟، الأمير شكيب أرسلان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، د، ط، ٢٠١٢م).

٣٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٣١- المدرسة القرآنية ، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، (ط ٢- ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م).

٣٢- المرأة في الفكر الاجتماعي للإسلام, محمد الشقير, دار الهادي, ط١, -٢٠٠٤م.

٣٣- المصباح المنير، أحمد المقرئ، دار الحديث، (بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م).

٣٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ، عالم الكتب، (بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

٣٥- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٦- مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، د. حسن إبراهيم عبد العال، دار الكتب، الرياض، ١٩٨٥م.

٣٧- المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، الدكتور أسامة عبد المجيد العاني، اصدارات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ٧٠، الامارات العربية المتحدة / ٢٠٠٣م.

٣٨- المنظور الإسلامي للحافزية ومعوقه من النظريات المعاصرة، نعيم نصير، (بحث في مجلة جامعة الملك سعود، م١، العلوم الإدارية (١،٢)، ١٩٨٩م).

٣٩- المنقذ في الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥ هـ)، بقلم د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة- مصر، (د. ط)، (د. ت).

٤٠- الموافقات في أصول الشَّرِيعَة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر، (السعودية، ط ١ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٤١- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، د. ط ، ١٤١٤ هـ -١٩٨٦ م).

٤٢- نقد المعرفة التربوية المعاصرة: الأهداف والأطر، علي خليل أبو العينين، (بحث في مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، عمان، ٢٤ -٢٧ تموز، ١٩٩٠م) جامعتا اليرموك ومؤتة بالأردن والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٤٣- وسائل الشيعة , المحقق العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت: ١١٠٤ هـ), دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان, د. ت.